اليـــدان

للقصاص الروسي ا. كيبيانى

ترجمة عايدة مطرجي ادريس

« ميلانو » ليست جميلة .

وهي حين تصمت ، فانك تمر امامها من غير ان تتنبه لها ، ومن غير ان تتلفت ، ولكن ليتك تسمع صوتها .. انك تمشي في الشارع، ووراءك تسمع صبايا يتحدثن . ان احداهن تملك صوتا منغما ، غنائيا الى حد انك لو سمعته لادخل الدفء الى قلبك . وتتلفت : فاذا ميلانو أمامك، انها ذات وجه غير مرض ، وهي قصيرة ، طويلة الانف . ولكن صوت ميلانو جدير بان يجعل ايا كان يتلفت . ويمزح رفقاؤنا عمال المصنع فيقولون : يكفي ان تتحدث مع احدهم على التلفون ، حتى يبوح لها بحبه في المساء .

وميلانو في الواحدة والعشرين من عمرها . انها تحب ان تحلم وحيدة . ولكن كثيرين من الفتيان لا بد ان يتأثروا اذا قاسمتهم اهواءها. ففي مخيلتها ، ترى نفسها فاتنة الى حد تقع فيه مغرمة بذاتها . ولكن ميلانو ، في الواقع ، لا تحب عينيها الصغيرتين المختبئتين تحت حاجبين اشعثين ، ولا شفتيها السميكتين ، ولا يديها ذات الاصابع المتوازية الطول ، ولا داعي للتحدث عن ساقيها !.. وميلانو تتحاشى الشباب فكلما بدا شاب جميلا ، كلما ارتبكت ميلانو وهي تحدثه ، وتحس نفسها خجولة ومضطربة الى حد بعيد . ويبدو لها ، ان الغلطة غلطتها، هي ولدت ضعيفة الجاذبية الى هذا الحد. وميلانو تشيح بوجهها وهي تمر امام الشباب ، لكانها لا تكاد تتمالك نفسها من ان تغطي وجهها بيديها .

وميلانو لا تفعل شيئا لتبدو اجمل مما هي . بل هي لم تفكر قط بانها تستطيع ان تموج شعرها ، أو ان تضع الحمرة على شفتيها، او ان تصلح أظافرها . ان ذلك كله ، لن يجديها شيئا ، على ما يبدو لها. وهي مقتنعة ان النساء الجميلات وحدهن يملكن الحق في ان يتبرجن .

ولكن ، على الرغم من هذه المحذورات ، فان ميلانو تحب الحياة. انها تحب ان تذهب كل يوم الى المصنع ، حيث ترى « فاسو » ، وتحب في المساء ان تتردد على النادي . وتحب الكتب بهوس، ومهنتها في الحياكة ، التي كانت تنصاع لها دائما . وبفضل مهنتها تلك ، لا يستطيع احد ان ينظر اليها من فوق الى تحت . ان مهنتها في الحياكة تؤمن رزقها وكساءها وتتيح لها الذهاب الى السينما ، والمسرح ، وشراء مختلف الاشياء . منذ فترة غير طويلة ، اشترت ميلانو خزانة وسريرين من الخشب « فهي اذن تملك الوسائل .. »، وقد خيطت بنفسها غطائين للفراش جميلين من الحرير الاخضر ، وليس هذا كل شيء .. ولكنها لا تستطيع ان تبوح لاحد ، لقد اشترت موسى كهربائية . والله يعلم لماذا دخلت الى المخزن واشترتها ، هكذا ، من اجل لا شيء ، فقط ، بكل بساطة ، لان هذه الموسى قد اعجبتها ، فهي جميلة ، ولماعة .. وسوف تكون دهشة ان هي علمت ان الموسى لن تتلف اذا بقيت مدة بلا استعمال.

وذلك الكهربائي « فاسو » أي نموذج هو ! فهو يكسب تلك الكمية المكدسة من المال ، ومع ذلك فهو لا يملك طقما لائقا ، ويأتي الى النادي مرتديا ثياب العمال الزرقاء ، ويصدف ان تنبعث منه رائحة الفودكا . فلو انه يتزوج ، فان امرأته ، على الاقل ، كانت تعلمه بسرعة ان يعيش كما يجب.. وسترى، يا صديقي، ان ذلك لن يستغرق وقتا طويلا .

في ذلك اليوم، أتى مصور للاخبار المحلية الى مصنع الحرير، يرافقه معاون ومهندسو ضوء . وقد احضروا الى المعمل الات عاكسة للضوء ذات رؤوس ضخمة ، وركزوا الة التصوير على المنصب . وقد اخذ فاسو يدمدم ، وهو يتعمد تقييد الامور ، ووصل الخيوط الملفوفة بالمطاط الاسود بجهد مصطنع ، كما لو كان ذلك عملا مرهقا . ان فاسو يبالغ دائما في الاهتمام بعمله .

وتأبط مدير الالات ذو الشاربين ذراع مدير المصنع ، واخذا يتمشيان بمحاذاة مناويل الحياكة ، في بطء ورصانة ، كبعثة حقيقية. وكان المصور يلقي نظرات خاطفة على الحائكات ويقول اشياء لمدير المصنع، ولكن لم يكن ثمة من يستطيع ان يسمع شيئا بسبب الضجة .

وفي نهاية المطاف ، اقتربا من منوال ميلانو ووقفا قريبا جدا منها . ولم ترفع ميلانو حتى رأسها ، ولكنها احست ان المدير كان قد اشار اليها ، ربما لانها كانت دائما من افضل العاملات . وخطا المصور خطوة نحو المنوال ، فاحست ميلانو ان قلبها ينبض بشدة ، وكانت مضطربة وحائرة في ما ينبغي ان تفعله : أتستمر في عملها أم تذهب أمام الزائر ؟ وفجأة ، وكما لو ان احدا كان قد ناداه ، استدار المصور وتوقف امام « تسيالا » .

وتسيالا صبية ذات شعر فاتح اللون ، وعينين زرقاوين ، دقيقة ورشيقة . وقد كان جميع الرجال في مصنع الحرير مغرمين بها في السر. وفاسو ، هو ايضا ، مغرم بها في الارجح . وفي احلامها ، فان ميلانو، تشبه تسيالا تماما .

ـ انها هي ، تلك التي سنصورها . هذا ما سمعته ميلانو ، او لعلها بكل بساطة قد حدست به .

ورفعت ميلانو رأسها .

كان مدير المصنع ينظر من جهتها . وبدا لميلانو انه قد كان في نظراته شفقة وقليل من الحزن.

انه يقول ، للمصور ، في الارجح ، هذا غير عادل ، ومع ذلك، فان ميلانو عندنا ...

ولكن مدير التصوير لم يكن يسمعه ، على ما يبدو . لقد كان لديه اشياء اخرى يقوم بها ، هذا المصور ذو الشاربين . كان يتكلم بحماس ، وهو يتوجه الى تسيالا ، التي كانت تبدو سعيدة ومنفعلة . كانت حمراء كحبة كرز ، مما زادها جمالا . وتدخل مدير المصنع في حديثهما، ثم أتى فاسو من حيث لا يدري احد ، وابتسم لتسيالا . وتحطم شيء ما في صدر ميلانو ، فخفضت عينيها .

كان المصنع يزمجر ، ويهدر ، وكانت هذه الضجة التي تصم الاذان تبدو وكانها تبلغ سمع ميلانو للمرة الاولى . كان يطن في صدغيها، ويمنعها من ان تهدأ .

وكان المكوك ، يروح ويجيء على طول اللحمة ، كمن اخذه الجنون، وهو يركض خيط الحرير الابيض .

وكان المكوك يردد : داق دوق ، داق دوق ، منسجما مع ايقاع قلب ميلانو .

وفكرت ميلانو : « آه ، لو كنت مثلها جميلة » .

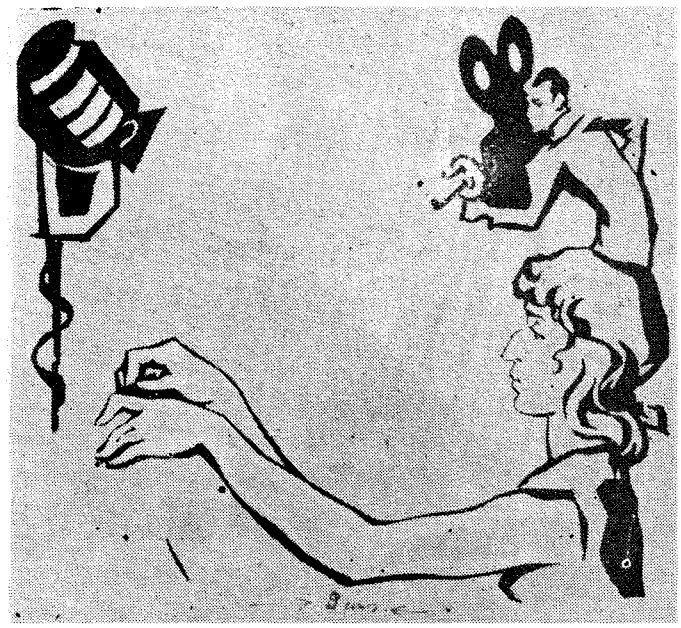

وكان النول يجيب : « داق دوق ، داق دوق » .

ـ « ولكن ذلك لايتوقف علي » .

ـ داق دوق ، داق دوق .

ـ انني لا اؤذي احدا ، انني اعمل . واحب الناس جميعا. فبأي شيء أكون مذنبة ؟

ـ داق دوق .

وفجأة ، رأت ميلانو طرف الخيط ينقطع وكشعاع اسود ، قطع خط قماش الحرير الابيض ، وكان الخط يستطيل على مدى النظر .

وفي الحال ، اوقفت الصبية النول ووجدت اطراف الخيط المقطوع، ولمست اصابعها الذكية الخيط ، بحذر ، كما لو انها كانت تستطيع ان ترى ، وقامت بحركتين رشيقتين او ثلاث ، كانت الاصابع ترقص ، سريعة انيقة . وبسرعة البرق ، عقدت ميلانو الاطراف ، وامرت الخيط في بيت المكوك ، ثم بين اسنان المشط . واندفع المكوك ، وهو يبتلع الخيط المعقود الذي ضاع وسط القماش اللماع الذي لا عيب فيه ، والتف حول الاسطوانة وهو يكبر ككرة من الثلج .

وكان مهندسو الاضاءة قد صوبوا انوارهم وهم لا ينتظرون الا اشارة مدير التصوير وكانت الة التصوير ، على مسندها ، تنظر بعناد الى تسيالا . وكانت الالة تشبه صبيا جريئا رأى فتاة جميلة فلم يرفع نظراته عنها .

وكانت ميلانو تأمل ان يصوب الصبي الجريء انتباهه اليها هي ايضا ، بالرغم من كل شيء ، وان يغمزها قائلا : آه ، يا ابنتي انك تعملين كفنانة ، ثم يخلد وجهها على الفيلم .

ولكن آلة التصوير توجهت نحو تسيالا ، كفاسو تماما . اه ، يا لهذه العين الزجاجية ! انها تعلم من يجب ان تنظر اليه . وفجرت الالة العاكسة ضوءا كضوء الشمس ، وذهبت شعر تسيالا وابرزت قامتها الهيفاء . وضاع المصنع في الظلمة ، وكان نول تسيالا وحده مضاء . ولقد كان يحس المرء انه لم يبق شيء من المصنع الا تسيالا .

وكان مدير التصوير ذو الشاربين يقترب من تسيالا تارة من جانبها، تارة من أمامها ، تارة من ورائها . كان يجعلها تضحك ، او تتخذ هيئة جادة ، وان تنظر فوق كتفيها ، او تنحني على النول . وكان هو يصور ويصور .. وكانت عينا ميلانو ، تتابعان المكوك الذي كان يجتاز اللحمة ولا تفارقانه . وكانت الخيوط تزحف وتتشابك ، وتتلوى وتضيع كنقط من المطر في النهر . وكان القماش يولد .

كانت ميلانو ما تزال تجتر الافكار ذاتها . ولكن أكانت أفكارا ؟ انها بالاحرى حزن صامت ، كان يحضن في اعماق نفسها ، كجمرة ملتهبة لا يمكن لمسها باليد، ولا يمكن اطفاؤها . حزن كائن قبيح منحته الطبيعة نفسا جميلة .

وفجأة ، طرفت ميلانو بعينيها وقد اعمتها الاشعة الثاقبة . كان عاكس الضوء يتجه نحوها ، فاحمرت وجنتا الفتاة . وتحت اشعة الالة العاكسة ، كانت خيوط الحرير تلتمع ببريق فضي.

وصرخ مدير التصوير ـ : والان ، نريد ان نصورك .

وادار الة التصوير باتجاهها .

كان الصبي الجريء ينظر الان الى ميلانو بعينه الوحيدة . وكان المصنع كله ينظر اليها ، كما لو انه لم يكن في المصنع احد غيرها ينظر اليه . واقترب فاسو، وابتسم لها ، وربت على كتفها . واحمرت الفتاة من الفرح ، واضطربت كلها .

وفكرت : كم انا غبية ، وغيورة ، كما يبدو !

وصرخ مدير التصوير : ـ لقد رأيت كيف عقدت الخيط المقطوع ، وبأية رشاقة . أعيدي ذلك مرة اخرى ، اذا سمحت .

ودهشت ميلانو وهي خجول : ـ مرة اخرى ، كيف ، مرة اخرى؟

وقال لها مدير المصنع : ـ اقطعي الخيط ، ثم اعقديه من جديد. يجب ان تفعلي ذلك للتصوير .

ومن جديد اخذت الات التصوير تعمل ، ومن جديد تحمس مدير التصوير . انه يدور الان حول ميلانو ، ويقترب ، ويتقدم من جهة ، ثم من جهة اخرى . ثم صور يديها ، اذ هي تعقد الخيط . كان يصور ويصور ، وكان يبدو ان ذلك لن ينتهي ابدا .

وكانت ميلانو تفكر : « بلهاء غيورة ! هذه هي انا ! غيورة بلهاء ! بكلمة واحدة: غبية ! ». ولم تكن هي نفسها تفهم ان كانت تلك الكلمات عتابا ام تعزية .

* * *

قالت الجارة :

ـ ميلانو ، هل تذكرين ، لقد قلت لي انهم صوروك للسينما وقد شاهدت الفيلم المحلي فلم تظهري فيه .

واحمرت ميلانو .

ـ كيف ، ألم أظهر فيه ؟

قالت الجارة بقسوة :

صدر اليوم

عن دار الطليعة ـ ص.ب ١٨١٣

مصير الايديولوجيات الثورية تاليف مطاع صفدي

الثورة في التجربة

محاولة لفهم الاحداث الثورية ذاتها بتطبيق منهج علمي واضح كان املا يراود الكثيرين من العاملين بالقضايا العربية

– نعم . لقد ذكروا اسمك . ولكنهم لم يظهروك .

وسألت ميلانو سؤالا عابرا ، وهي تجهد في ان تخفي اضطرابها :

– أين رأيت ذلك الفيلم المحلي ؟

وفي المساء ذاته ، قصدت ميلانو السينما، وحيدة فاشترت بطاقة لاخر صف في القاعة ، وصعدت الدرج فجلست برفق في زاوية. وحتى بدأية الحفلة ، كانت تجيل ، بخفاء ، نظرها فيما حولها : كانت تخاف ان يراها احد من المصنع . ولم تكن ميلانو تستطيع ان تشرح لنفسها لماذا كانت تتجنب المعارف .

وملأ المشاهدون القاعة ، ولم يبق لبدء الفيلم سوى دقائق كانت ميلانو مضطربة . ماذا لو كان مدير التصوير قد كذب بالفعل ؟ لعله لم يوجه التهه عليها الا للشكل ؟ ولكن ، لماذا كان يفعل ذلك ، هل كانوا يجبرونه ، ماذا ؟..

وانطفأ الضوء ، وعلت الموسيقى . وعلى الشاشة بدا مدخل مصنع تيليسي للحرير ، والباحة ، التي تمتد امامه . واخذ المذيع يتحدث . وامتدح عمال المصنع ، وعدد انجازاتهم وانتصاراتهم . وفجأة ، لفظ اسم تسيالا .

وابتسمت تسيالا على الشاشة . كانت تظهر حتى الخصر، وكذلك كان نولها ظاهرا ، ولكن المتفرج لم يكن يرى يديها. ومع ذلك، فان المتفرجين سيفهمون ان تسيالا تعمل . وقد اظهروها جانبيا ، ثم احتل وجهها الشاشة كلها . كانت تنظر الى القاعة . وكانت عيناها الممتلئتان بالحب تنظران الى ميلانو وتضحكان. وابتسمت ميلانو بالمقابل، ولكن قلبها كان مثقلا .

وفجأة، بدا وجه ميلانو على الشاشة ، ليختفي في الحال . وصاحت ميلانو : « اه » . هل كان ذلك قد تراءى لها ام انها كانت قد رأتنفسها بالفعل ؟ ولكن لا . لا بد ان ذلك صحيح ، فلقد ذكر المذيع اسمها وقال انها كانت تعمل جيدا وان اصابعها كانت تتحرك « بعجلة عجيبة » .

وبدت الاصابع على الشاشة ، وكالبرق عقدت الخيط المقطوع بسرعة ، ثم ، اظهروا الشيء نفسه ، ولكن الاصابع كانت هذه المرة، تتحرك ببطء ، ببطء شديد . ببطء كانت الاصابع قد عقدت الاطراف ، وببطء امرت الخيط في بيت المكوك ، ثم بين اسنان المشط . انظروا ، انظروا ، بمزيد من الانتباه ..

ولاقت الاصابع ، كما لو كانت تستطيع ان تبصر ، اطراف الخيط، وعملت برشاقة وانطلاق وهي ترقص على نغم الموسيقى التي كانت تنبعث من الشاشة .

يا الهي ، هل من الممكن ان تكون هذه الاصابع المرنة ، اللبقةالمرهفة الجميلة الى هذا الحد هي اصابعها هي ، ميلانو ؟ وبأية لهجة يتحدث عنها المعلق ! ان ميلانو نفسها تتأمل باعجاب حركات هذه الاصابعالدقيقة، وتدهش من طواعيتها . واذن ، فهذه الاصابع ، هي اصابعها هي ؟ اجل، ولكن ، من الارجح انيكونوا في السينما قد عملوا على تطويلها . لقد صوروها بطريقة خاصة لكي تبدو تلك الاصابع جميلة الى هذا الحد.

ونظرت ميلانو خفية الى يديها الممددتين على ركبتيها . كم تستطيع هذه الاصابع الرخصة القوية ان تفعل من أشياء ! كم تستطيع ان تخلق اشياء جميلة ، اشياء رائعة . انها بالارجح ، تعرف كيف تلامس وتداعب برفق . من يدري ؟ لعلها تعرف ان تلامس برفق خيرا مما تعرف أيشيء اخر . من يدري؟ ربما ..

ولقد تصلبت تلك الاصابع القصيرة القديرة وتجمدت كانها نائمة، وبالمقابل ، فانها تعيش على الشاشة وتتحرك برشاقة ، تراقبها القاعة كلها .

ولم يكن وجه ميلانو قد ظهر الا مدى ثانية « انه لم يكد يرى » في حين انهم كانوا يظهرون يديها طوال هذه المدة .

وفجأة ، خيل لميلانو أن يديها ، واصابعها التي ترقص وترف فوق القاعة هي في جمال وجاذبية عيني تسيالا وشفتي وشعر تسيالا ..

ورفعت ميلانو يدها واخذت تنظر اليها . ثم ادنت قريبا من عينيها الابهام ، اضخم اصابعها واذكاها ، كأنما تريد ان تعرف اية هيئة كان قد اتخذها ، هذا الاصبع الصغير الذي كان يساعدها على خلق كل هذه الاشياء المدهشة . وها هو الاصبع يملأ القاعة كلها . هلتستطيعين ان تدرني ذلك : اصبع صغير جدا ، هزيل جدا يحجب العالم كله ؟!

وضحكت ميلانو ضحكة طفل سعيدة . وازاحت الاصبع ، فبدت الشاشة والمتفرجون . وقربته من جديد ، فاختفت القاعة كلها معالشاشة.

كانت السماء ترسل رذاذا . وكانضوء المصابيح يلمع كالمرآة فوق ابعاد روستافيلي. كانت ميلانو عائدة الى بيتها مشيا ، وكان كعبا حذائها يطقطقان بجذل على الرصيف . وكانت تتحدث فيما بينها وبين نفسها مع مدير التصوير الذي كان قد صورها ، في المصنع . وكانت ميلانو تقول له : « ولكن لا .. انني لا احقد عليك اطلاقا لكونك لم تظهرني الا لحظة .. ألست ادرك ان وجهي ليس جميلا بما فيه الكفاية حتى يكلفكم رفعة كبيرة من الفيلم ، ولكنه مع ذلك ليس قبيحا الى حد لا يمكناظهاره على الشاشة ، وبالاجمال فليسلي ان اخجل به وانني شاكرة لكجميلك)) فيرد عليها مدير التصوير بحرارة : « كيف تستطيعين ان تتحدثي هكذا ؟ . انك تملكين وجها لطيفا جدا ويصلح للشاشة . ولكن يجب ان تفهمي ذلك : ان للشاشة قوانينها الخاصة ، ويمكن للمصور احيانا ان يجتذبه وجه جميل ، واحيانا اخرى عمل جميل » . وانحنى ثم اختفى . ولم تدر كيف حل محله وجه جارتها في المصنع : « اجل، لقد كنت على حق، صحيح انهم اظهروك على الشاشة ، ولم انتبه لذلك . لاصبح عمياء اذا فوتّت رؤيتك ، في المرة القادمة ».

ثم تمثلت ميلانو نفسها في المصنع . كان العمال يحيطون بها ويهنئونها . وكان فاسو ، يرتدي طقما جديدا ، وكان حليق الذقن ناعمها ، وقد اقترب من ميلانو فأخذ باحترام يدها ، ورفعها الىشفتيه وقبلها .

وضحكت ميلانو عاليا ، فاستفاقت من احلامها . « يا فاسو الملعون، كم اضحكتني ! » كانت تضحك من كل قلبها ولم تكن تستطيع انتتوقف. وكان شاب قادم باتجاهها ينظر اليها ، بارتباك ، ويتفحص ثيابه ثم مسح وجهه، كيفما تأتى له : ربما كان هناك تشويش في هندامه .

وحزرت ميلانو افكار الشاب المسكين وكادت ان تموت من الضحك. حتى انها لم تكن تستطيع ان تتحرك ، او ان تتوقف ، وغطت وجههها بيديها ، وتركت لنفسها انتضحك ملء نشوتها . ترى اين كان حزنها الذي انقضى ؟ كان فرح صاف يجتاحها ويبحث له عن مخرج . كان الفرح يغلي في ضحك الفتاة الغضي ، وفي نشوتها التي لا يحدها منطق.

وانقطعت ميلانو عن الضحك ، واتخذت هيئة جادة : يجب الا يفكر الناس بانها فتاة صغيرة بلهاء . ولكن الابتسامة لم تكن قد فارقت وجهها ، لقد بقيت في العينين الضاحكتين ، وفي زوايا الشفتين.

وكان هواء لذيذ يداعب وجنتيها الملتهبتين . وفجأة ، مرت امام واجهة كبيرة ، فتسمرت في مكانها . فخلف الواجهة ، كما لو انذلكفي لوحة ، صبية انيقة جالسة امام طاولة صغيرة ، ويدها ، ذات الاصابع الطويلة المسكوبة ، ترتاح على مسند صغير ، وامرأة ترتدي قميصا ابيض تطلي الاظافر بطلاء زهري اللون . ومن جديد ، اخذت ميلانو تنظر الى اصابعها ، وتمثلت فاسو يقبل تلك الاصابع ، ومن جديد ضحكت في هدوء .

« يا فاسو الملعون ! » ودفعت الباب ودلفت بخفة الى الغرفة ذات المرايا ، حيث جلست المرأة ذات القميص الابيض .

ترجمتها عن الفرنسية : عايدة مطرجي ادريس

طبعت على مطابع :

دار الغد

تلفون : ٢٢٢٩٢١